

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(34) ميزانا^١ فيما بينه وبين نفسه كما في قوله تعالى: (بَلِّغِ الْإِنْسَانَ^٢ عِلَّاهُ^٣ نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ^٤ *) القيامة / 14. ثم يشير إلى طبيعته في التمرد وتجاوز الحدود ظلماً وكفراناً كما في قوله (إِنَّ^٥ الْإِنْسَانَ^٦ لَطَالُمُ^٧ كَفَّارٌ^٨) إبراهيم / 34. ويعبر عنه مستفضاً ما جبلت عليه نفسه عناداً وإصراراً وطغياناً بما قال تعالى: (قُتِلَ الْإِنْسَانُ^٩ مَا أَكْفَرَهُ^{١٠} *) عبس / 17. وحقق القرآن مع الانسان فيما يبقى له، وما يتواجد معه، بعد مفارقتة الدنيا ووفوده على الله تعالى متحدثاً عما ينفعه فيما عمل فقال: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ^{١١} إِلَّا^{١٢} مَا سَعَى^{١٣} *) النجم / 39. وأشار أنه سوف يتذكر ذل (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ^{١٤} الْإِنْسَانُ^{١٥} مَا سَعَى^{١٦} *) النازعات / 35. ومع كل هذا التقويم لا يترك القرآن الإنسان دون عظة وعبرة ونصح كريم: (أَيْحَسِبُ^{١٧} الْإِنْسَانُ^{١٨} أَنْ يُتْرَكَ^{١٩} سُوءِ^{٢٠} *) القيامة / 36. فيهره من الأعماق ليقف به على تجاوزه وتعيده بما يكشف عنه قوله تعالى: (يَأْتِي^{٢١} هَآءَا^{٢٢} الْإِنْسَانُ^{٢٣} مَا غَرَّبَكَ^{٢٤} بِرَبِّكَ^{٢٥} الْكَرِيمِ^{٢٦} *) الانفطار / 6. وقد يقال في جواب هذا أنه ألهمه الجواب الناجع: غربي يا رب كرمك. وهذا فضل جديد يضاف للأفضال السابقة، وهنا يتطامن هذا الطاغوت لينظر إلى أولياته في التكوين، ليكبح من جماح نفسه، ويخفف من غلواء جبروته فيصكه الله تعالى بقوله: (فَلْيَنْظُرِ^{٢٧} الْإِنْسَانُ^{٢٨} مِمَّ^{٢٩} خُلِقَ^{٣٠} * خُلِقَ^{٣١} مِنْ مَّاءٍ^{٣٢} دَافِقٍ^{٣٣} * يَخْرُجُ^{٣٤} مِنْ بَيْنِ^{٣٥} الصُّلْبِ^{٣٦} وَالتَّرَائِبِ^{٣٧} *) نازعه^{٣٨} عِلَّاهُ^{٣٩} رَجْعِهِ^{٤٠} لِقَادِرٍ^{٤١} *) الطارق / 5 - 8. فإذا رجع إلى الله، ووقف للحساب الجديد، هنالك: (يَقُولُ^{٤٢} الْإِنْسَانُ^{٤٣} يَوْمَئِذٍ^{٤٤} أَيْنَ^{٤٥} الْمَفْرُورُ^{٤٦} * كَلَّا^{٤٧} لَا^{٤٨} وَزَرَ^{٤٩} *) إلى ربِّكَ^{٥٠} يَوْمَئِذٍ^{٥١} الْمُسْتَقَرُّ^{٥٢} * يُنذِي^{٥٣} قُلُوبُ^{٥٤} الْإِنْسَانِ^{٥٥} يَوْمَئِذٍ^{٥٦} بِمَا^{٥٧} قَدَّسَ^{٥٨} وَأَخَّرَ^{٥٩} *) القيامة / 10 - 13. وهنا يصطدم هذا الانسان الغر الجاهل المتعنت الضعيف بالحقيقة الهائلة الكبرى إذ يقف بين يدي أعماله وذنوبه وجهاً لوجه، لا ستار ولا حجاب، ولا إستقالة: (وَكُلُّ^{٦٠} الْإِنْسَانِ^{٦١} أَلَزَمُ^{٦٢} نَفْسَهُ^{٦٣} طَائِرَهُ^{٦٤} فِي^{٦٥} عُذُقِهِ^{٦٦} وَنُخْرَجُ^{٦٧} لَهُ^{٦٨} يَوْمَ^{٦٩} الْقِيَامَةِ^{٧٠} كِتَابًا^{٧١} يَلْقَاهُ^{٧٢} مَنْشُورًا^{٧٣} *) الاسراء / 13. هذه المفاجأة لجنس الانسان إلا المتقين يجب أن يقف بإزائها وقفة الصامد الخبير، فأعماله متمثلة أمامه، وأفعاله وأقواله متجسدة في قوالبها لديه، والشاهد هو الحاكم، والحاكم هو الله، وكفى في ذلك شدة وروعة وترويعاً وذهولاً، لهذا فقد حذر هذا الانسان من أهوال ذلك اليوم ومشاهده، قال تعالى: (يَأْتِي^{٧٤} هَآءَا^{٧٥} النَّاسُ^{٧٦} اتَّقُوا^{٧٧} رَبَّكُمُ^{٧٨} إِنَّ^{٧٩} زَلْزَلَةَ^{٨٠} السَّاعَةِ^{٨١} شَيْءٌ^{٨٢}